

## إبراهيم الخليل (عليه السلام) الهوية التاريخية

م. د. عادل هاشم علي

جامعة البصرة - كلية الآداب

بسم الله الرحمن الرحيم

إن دراسة الظاهرة التاريخية باعتبارها جزءاً أساسياً ومحركاً للتاريخ بصورة عامة تستند إلى عدة عوامل تجتمع فيما بينها لإعطاء صورة واضحة عن هذه الظاهرة. ولا ضير لو كان هناك نقص في إحدى هذه العوامل مع بقاء اعتبارات أخرى مكتملة لرسم ملامح الظواهر التاريخية، بيد أن الاعتماد والتركيز على جانب واحد دون الأخذ بالجوانب المساعدة يعطي منهاجاً أحادي التخصص؛ فمثلاً لو اعتمد في ظاهرة تاريخية ما على التاريخ فقط - بما يشمل عليه من تفصيلات جزئية - فإن هذه الدراسة أو التحليل السردى للظاهرة يتخذ شكلاً (تاريخانياً) ومن ثم فإن منهاج الدراسة يبقى محتاجاً للعوامل المكتملة لدراسة التاريخ كاللغة والدين وغيرها.

إن نظرة إلى مكانة الأنبياء تبرز وبصورة واضحة تأثيرهم في حركة التاريخ البشري، وإذا ما عرجنا شخصية النبي إبراهيم (صلوات الله عليه) نجد إنها كانت أكبر شخصية تاريخية أثرت في منطقة الشرق الأدنى القديم وساهمت بقوة في تبدل المجتمعات وانقلابها على ثوابتها الدينية والحضارية، وكل هذا راجع إلى الحركة والتنقل التي امتاز بها النبي إبراهيم في أكثر من مكان، الأمر الذي جعله يبرز شخصيته كني في أكثر المجتمعات تحضراً في ذلك الوقت، وبالتالي فقد أسس في أكثر من بلاد نواة اجتماعية وقبلية ودينية تفرغت فيما بعد لتنشئة شعوباً اتخذت من النبي إبراهيم مثلاً وقدوة في مسيرتها الحضارية.

ومع ذلك فإن هذه الشخصية العظيمة تسكت عنها آلاف الرقم الطينية والنصوص القديمة المعتمدة في علم الآثار، في حين تنطق الأسفار التوراتية نصوصاً غامضة ومرتبكة أحياناً تحتاج إلى جهد غير يسير لتنظيمها وتنقيتها ما هو مكتوب بنفس عنصري متعصب أو منحاز لفئة دون أخرى من المجتمعات التاريخية. أم النص القرآني فهو يمتاز بتجريد الواقعة التاريخية من الملابسات المكانية والزمانية والشخصية ويمنح النص الذي يحوي على صبغة تاريخية حركة وفاعلية رسالية تتجاوز في قيمتها الزمان والمكان، وهنا يأتي دور الأحاديث والروايات الإسلامية

الموثقة لتفصيل الواقعة التاريخية ومكملة لصورة النص الديني الإسلامي ولقد جاء البحث متمركزاً حول ثلاث محاور رئيسية (التسميات - الفترة التاريخية - الموطن).

## أ- التسميات

إلا أن أقدم الأصول اللغوية لأسم (إبراهيم) ترجع إلى إشارات في النصوص الإيبلائية، فقد ورد اسم أحد ملوك إيبلا بصيغة (ابيريوم A-be-re-um)<sup>(1)</sup>. وهناك إشارات تعود إلى بداية الألف الثاني قبل الميلاد حيث وردت أسماء مقاربة باللغة الأكديّة (البابلية، الآشورية) مثل (أباراما A-ba-ra-ma) (ابامراما A-ba-ma-ra-ma) (ابامرا A-ba-am-ra)<sup>(2)</sup>.

يشير علماء الآشوريات مثل هومل Hommel وساييز Sayse إلى أنه تم التعرف أثرياً على أسم (إبراهيم) في التعاملات التجارية بين الآشوريين والكنعانيين والاموريين خلال فترة الربع الأول من الألف الثاني قبل الميلاد إذ جاء بصيغة (ابي رامو Abi-ramu) و(أبرام ab-ramu) في عقود البيع في شمال بلاد الرافدين<sup>(3)</sup>.

وفي السياق نفسه نجد أسماء أخرى متصلة بالنبي إبراهيم، فمثلاً اسم يعقوب ورد بصيغة (ya'qub'el الإله يحمي) وهي من الأسماء التي شاع استخدامها في فلسطين خلال القرن الخامس عشر قبل الميلاد. وقد عثر على هذا الاسم في قوائم الفرعون المصري تحتمس الثالث (1490-143 ق.م)<sup>(4)</sup>. ومع ذلك فإن هذا الاسم يرجع بأصوله اللغوية إلى بلاد الرافدين حيث ورد ضمن الألواح المسمارية التي تعود إلى القرن الثامن عشر قبل الميلاد بالصيغة الأكديّة (ya-ah-gu-ub-il)، ويبدو أن اسم اسحق (yit-shaq-el) ويعقوب قد اختزلا من الأسماء أو الأشكال الأولى لها وهذه الأسماء ترجع إلى البيئة الرافدينية حيث نقطة انطلاق النبي إبراهيم نحو بلاد الشام<sup>(5)</sup>، ويمكن أن نستدل بذلك على أن اللغة التي تكلم به النبي إبراهيم كانت لغة جزرية. وهناك أسماء أخرى تتصل بالبيت الإبراهيمي مثل لابان ويوسف وردت أيضاً بصيغها الأكديّة بالوثائق المسمارية<sup>(6)</sup>. ومما يؤكد أن اسم زوجة النبي إبراهيم سارة Sara هي كلمة أكديّة - جزرية الأصل - sarratum وتعني الأميرة أو الملكة تقابلها باللغة السومرية كلمة نن كال nin gal وتعني أيضاً الملكة أو السيدة العظيمة<sup>(7)</sup>.

ومن الفترة الآشورية الحديثة نجد أسماء تشابه اسم إبراهيم لاسيما في فترة الملك الآشوري أسرحدون (680-669 ق.م) مثل (ابورامو abu-ramu) وهي اللفظة التي يعتقد العالم الألماني هومل بأنها أصل كلمة إبراهيم<sup>(8)</sup>.

أما فيما يخص التسميات التي أطلقها كتبة الموروث الديني اليهودي فقد جاءت في طيات سفر التكوين وهي تكاد تتعارض فيما بينها وكذلك ما وجد من تسميات ل (إبراهيم) في النصوص الأخرى. يذكر سفر التكوين انه في البداية كان اسم النبي إبراهيم هو (أبرام) Abram ومعناه الأب الرفيع وزوجته تدعى ساري، وقد جاءت هذه التسمية من الفصل الحادي عشر حتى الفصل السادس عشر. ومما يلاحظ ان هذه اللفظة (أبرام) ترجع - كما مر بنا - إلى الأصول اللغوية الرافدينية.

ثم تغيرت التسمية بعد ان أصبح عمر النبي إبراهيم 99 سنة إذ أصبح اسمه (إبراهيم) إذ يذكر سفر التكوين ما نصه: "وعندما كان أبرام في التاسعة والتسعين من عمره... فخاطبه الرب قائلاً: ها أنا اقطع لك عهدي فتكون أبا لأمم كثيرة ولن يدعى اسمك بعد الآن أبرام (ومعناه الأب الرفيع) بل يكون اسمك إبراهيم (ومعناه أب لجمهور) لأني أجعلك أبا لجمهور من الأمم".<sup>(9)</sup> أما فيما يخص تبدل اسم ساري إلى سارة فنقرأ: "وقال لإبراهيم أما ساري زوجتك فلا تدعوها ساري بعد الآن، بل يكون اسمها ساره (ومعناه أميرة)... وأجعلها أما لشعوب"<sup>(10)</sup>.

هناك اعتراضات عدة حول التسميات الواردة في سفر التكوين منها لغوية ومنها تاريخية وأخرى نقدية: وأول ما يرد هو الاعتراض اللغوي على تبدل اسم أبرام إلى إبراهيم مع بقاء معني الأب في كلتا التسميتين، وهذا لا يصح لان في التسمية الأولى أب Ab وتعني (اب) إلا إنها انقلبت إلى إب ib وهذا لا يفيد معنى الأبوة، وقد ارجع اللغويين المقطع (إب) إلى أصل الياء فأصبح (يبرأ/ ييره).

من جانب آخر نجد القرآن الكريم ينفي أن يكون إبراهيم الخليل قد سمي باسمين مع تقدمه بالعمر لان اسم إبراهيم جاء ذكره في الآيات وهو لا يزال فتي صغير أي قبلا مغادرته بلاده وهجرته؛ وهذا ما تذكره الآية الكريمة: "قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ"<sup>(11)</sup>، وعلى هذا فان اسم إبراهيم بصيغته القرآنية قد عرف به النبي وهو ما يزال صغيرا.

ومع ذلك فان التسمية الثانية في سفر التكوين تتوافق مع التسمية القرآنية ويبدو ان المعني التوراتي كان تشريعيًا ولا يستند إلى التفكيك اللغوي لكلمة إبراهيم (اب لجمهور) كما هو الأمر بالنسبة إلى ساره التي أطلق عليها كما مر بنا (أم لشعوب) وهذا المعني تشريعي أيضا ولا يعتمد على المعني اللغوي للكلمة (أميرة). وفي هذا السياق يرد أيضا في آيات القرآن الكريم تسميات تشريعية لاسم إبراهيم تتوضح فيها كما يسمى عند الإسلاميين (الجعل)

التشريعي) إذ نقرأ قوله تعالى: " قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا " (12) " ان إبراهيم كان أمة " (13).

أما في النقوش العربية الجنوبية فقد جاء اسم إبراهيم بلفظه أو قريباً منه، إذ ورد في المسند لفظ برهمو (برهمو بن جدن) (14). وكذلك بصيغة ذبرهم، وقد جاء في النقوش السبائية الحميرية إبدال الهمزة بالهاء (15).

ويرى أحد الباحثين الإسلاميين أن اسم نبي الله إبراهيم قد يرجع إلى الجذر العربي (بره، برأ/يرأ) كما هو الحال لاسم إسماعيل من الجذر يسمع والذي وجد كثيراً في النقوش العربية ومكتوب بالياء (يسمعال) واسحق (يسحق). وعلى هذا الأساس فقد يكون اسم إبراهيم مشتق من (برأ، يبرأ) والميم فيه زائدة كتعريف نسبة (16).

ويبدو أن الجذر (برأ، يبرأ) يقترب من معني اشتقاق اسم إبراهيم خصوصاً وأن القرآن الكريم قد كرر هذا اللفظ مع اسم النبي إبراهيم منذ طفولته وإنكاره لعبادة الأصنام والتبرأ من آلهة قومه آنذاك، إذ تكرر الآية الكريمة:

" وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ (26) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ " (17) " قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءٌ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ " (18)

" وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ " (19)

إن محاولة تفسير اسم إبراهيم وإبراز آلية اشتقاقه من اللغات القديمة جعلت البعض من الباحثين يخترعون أفكاراً عجيباً وبطرق تأويل لغوية وتاريخية غريبة، وعلى سبيل المثال نأخذ أحد الباحثين القائلين بأن النبي إبراهيم هو الفرعون المصري (اختاتون) (20) مستلاً بذلك على تحليل اسم إبراهيم باللغة المصرية القديمة مبتدئاً باسم أبيه وهو الفرعون (أمنحوتب الثاني) ولقبه الملكي (نب ماعت رع) والذي ينطق باللغات الجزرية (السامية) نمرور ومن ثم يؤولها إلى النمرور أو النمرود الملك الطاغية، بعدها يعرج على اسم إبراهيم ويؤكد علىصرية هذا الاسم المكون من ملصقين هيروغليفيين هما (ابر) وتعني جواد (رام) وتعني رجل، وبالتالي فإن اسم إبراهيم يعني الفارس. كما أن لقب خليل هو لقب مصري (أخن - آتون) - حبيب الله وليس بالبحث متسع يسمح بالرد على هذا الرأي المتناقض في داخل أفكاره، ثم لا أعرف أن هذا الكاتب إلى أي من الديانات السماوية ينتمي.

أما فيما يخص والد النبي إبراهيم فإن الجدل يكون بين مسميات الموروث الديني اليهودي والمتمثل في طيات سفر التكوين الذي أسماه (تارحTARAH) وبين اللفظة الوحيدة المذكورة بالقرآن الكريم بصيغة (آزر) وهي بحد ذاتها تمثل اختلاف في المعنى المقصود من ارتباطها بالنبي إبراهيم. هل هو (أب) أم (عم)؟

جاء في سفر التكوين أن والد إبراهيم هو تارح وقد ارتحلوا مع باقي أفراد عائلتهم إلى حران واستقروا فيها حتى ممات تارح بعد أن بلغ من العمر 205 سنة<sup>(21)</sup>. وعلى هذا الأساس أخذت المصادر تطلق لفظة تارح على والد إبراهيم حتى أصبح هذا اللفظ متفقاً عليه عند جميع الكتاب في العالم إلا بعض المؤرخين الإسلاميين.

النظرة الإسلامية لوالد إبراهيم تستند إلى اسم آزر الوارد في الآية الكريمة: "وإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ"<sup>(22)</sup>.

وقد حاول مفسرو القرآن الكريم التوفيق بينما جاء في الآية الكريمة عن اسم إبراهيم وبين ما أخذ وتواتر عن توراة اليهود، وقد ذكرت أقوالاً متعددة كان من أبرزها أنه لأبي إبراهيم اسمان هما آزر وتارح مثل إسرائيل ويعقوب. اوان احدهما كان اسما والاخر كان لقباً<sup>(23)</sup>.

أما الرأي الأكثر انتشاراً في الوسط الديني الإسلامي هو أن آزر لم يكن والد إبراهيم وإنما كان عمه بدليل أن آزر كان مشركاً ومات على دين قومه وهذا ما يتعارض مع قول النبي محمد (صلوات الله عليه وآله): "لم يزل ينقلني الله من اصلاّب الطاهرين الى ارحام الطاهرات"<sup>(24)</sup>. وهذا يدل على أن النسب الشريف مطهر من الشرك من جهة الآباء والأمهات. كما ان أبا النبي كانوا جميعاً مؤمنين بالله وغير مشركين كما توضح ذلك الآية الكريمة في أحد مصاديقها: "الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (218) وَتَقْلَبُكَ فِي السَّاجِدِينَ"<sup>(25)</sup>.

وتفسر هذه الآية على أن روح النبي محمد (صلى الله عليه وآله) كان ينقلها الله تعالى من ساجد إلى ساجد لله رب العالمين<sup>(26)</sup>.

كما أن تفسير قوله الكريم (لأبيه آزر) اخذ على اللغة القرآنية في معنى الأبوة إذ أن القرآن الكريم صريح في أن الأبوة كما تطلق على الوالد تطلق أيضاً على العم وعلى الجد كما في قوله تعالى: "أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ"<sup>(27)</sup>. فإبراهيم أب وإسماعيل وإسحق أب للنبي يعقوب. وهذا التقليد كان سارياً عن العرب قبل الإسلام وبعده.

على هذا المنظور فإن آزر كان عم للنبي إبراهيم ولم يكن أباه، وقد تتضح لنا بعض ملامح الصورة عن الأمر إذا ما ربطنا هذا الاتجاه مع ما جاء في سفر التكوين الذي يذكر بأن

إبراهيم (تارح) قد ارتحل من بلاده في وادي الرافدين مع إبراهيم إلى حران<sup>(28)</sup>. وهذا يدل على أن تارح لم يكن متعارضا مع ابن إبراهيم من حيث الجانب العقيدي التعبدي وإلا لما كان قد تبعه وسار معه في هجرته من العراق إلى الشام. وإنما الذي اختلف معه في عبادة الأصنام هو عمه آزر.

بعض الباحثين الإسلاميين المحدثين حاولوا عن طريق اللغة وتصريف حروفها عبر الأزمان إعطاء تفسيراً لغويا يقضي بكون آزر هو تارح نفسه، من خلال تشابه الأحرف وتبديلها بين اللغات الجزرية (السامية). إذ يرى الأستاذ المرحوم عباس العقاد أنه إذا نسب إبراهيم إلى آشور فمن الممكن أن يكون آزر وتارح لفظين لاسم واحد إذا يعتقد بأن آشور تكتب باللفظ آزور وآتور وآسور وآتير، ثم يحول هذه الألفاظ إلى تيرا وتيرح باعتقاد أن آزر هو اللفظ القديم وإن تيرا أو تيرح هي نطق بعض اللغات السامية المتقدمة التي تكتب آشور بين الواو والياء<sup>(29)</sup>.

ويرى باحث معاصر أن كلمة آزر في القرآن الكريم هي ترجمة (تارح) في أسفار اليهود وذلك من خلال تأصيل لفظة تارح في اللسان العبراني ومعرفة معناه واشتقاقه في اللسان الآرامي (لسان إبراهيم كما يدعي سفر التكوين). ويرجع هذا الباحث كلنة تارح إلى الجذر العبري الآرامي (طرح) أي حمل ما يثقل ظهره ويقابلها مع الجذر العربي (وزر - يزر - وازر) والوزر هي الحمل الثقيل ثم يجعل كلمة (طارح - طورح) هي كلمة (الوازر) على التطابق لأعلى المجاز بمعنى الحمل<sup>(30)</sup>.

عموماً إن محاولة إيجاد معني تقاربي أو تطابقي بين آزر وتارح يبقينا بعيداً عن حلول المكتشفات الأثرية والرقم والألواح الكتابية في تلك الفترة، إذ ليس هناك أي نص مسماري أشار من قريب أو بعيد إلى هاتين اللفظتين، وهذا ما يجعل الباحثين يركنون إلى تحليلات ضعيفة رغم الجهود المبذولة، وبالتالي فإن آزر على ما اعتقد لم يكن والد إبراهيم بدليل ما مر بنا ثم إن تارح المذكور في سفر التكوين هو الآخر موضوع خلاف بين كونه والد إبراهيم أو غيره لتناقض كتبة الأسفار في شخصية تارح الذي توجه مع إبراهيم الخليل إلى أرض كنعان وبين تارح صانع الأصنام والمدافع عنها.

## ب- الفترة التاريخية

إن البت في الموطن الأصلي للنبي إبراهيم يعتمد أساساً على تحديد الفترة التي عاشها. وقد تنقنا هنا الأسفار اليهودية في رسم بعض الملامح التاريخية المعاصرة للنبي إبراهيم بعد مقارنتها مع النقوش والكتابات الأثرية المنتشرة في بلاد الرافدين ومصر وسوريا القديمة.

في البداية نعرض الملامح التاريخية لعصر النبي إبراهيم من خلال المدونات التي أجراها دارسو التوراة والتي تنقسم بدورها إلى طريقتين لحساب وإعطاء تاريخ شبه مؤكد للفترة الزمنية التي عاشها إبراهيم الخليل. وتعتمد كلتا الطريقتين على بناء الهيكل (هيكل سليمان) كنقطة تاريخية لحساب تواريخهم، إلا أنها تختلف في الفترة التي عاشها بني إسرائيل في مثر حتى خروجهم منها إلى فلسطين ويمكن تلخيص هذه الحسابات كالتالي:

إن تاريخ بناء الهيكل وبالاعتماد على الغالب الأعم من العلماء يحدد بحوالي 960-970 ق.م. ويجعلها المتخصصون في الدراسات التوراتية ب 966 ق.م كرقم وسطي<sup>(31)</sup>. ثم يضاف إلى هذا الزمن ما قضاه بني إسرائيل في مصر وهي حسب ما جاء في سفر الملوك 480 سنة: "وعندما بدأ سليمان في بناء هيكل الرب في الشهر الثاني من شهر ريو (أيار- مايو) من السنة الرابعة لتوليه عرش إسرائيل، كان قد انقضي على خروج بني إسرائيل من ديار مصر أربعمئة وثمانون عاما"<sup>(32)</sup>، ويضاف الى ذلك أيضا سوات عمر النبي يعقوب عند دخوله الى مصر والتي حسبت في سفر التكوين 130 سنة: "وسأل فرعون يعقوب كم هو عمرك؟ فأجاب يعقوب" سنوات غربي مئة وثلاثون سنة"<sup>(33)</sup> أما النبي إسحق فقد كان عمره 60 سنة عندما ولد له يعقوب حسب ما جاء في سفر التكوين (26:35)، في حين كان عمر إبراهيم 100 سنة عندما بشر بإسحق ولده. وبذلك فأن جميع هذه الأرقام تعطينا رقما تاريخيا من وجهة نظر الأسفار التوراتية هو 2136 ق.م.

أما التوجه الآخر في حساب هذه الأحداث فهو مطابق له إلا في تحديد فترة بقاء بني إسرائيل في مصر وهنا تعتمد على سفر الخروج الذي جاء فيه: "وكان مدة غربة بني إسرائيل التي أقاموها في مصر أربع مئة وثلاثون سنة"<sup>(34)</sup>، إذن فالمدة 430 سنة تضاف إلى باقي الحسابات فيصبح لدينا الرقم الثاني المقرب 2100 ق.م. كبداية حياة النبي إبراهيم الخليل.

من الجانب الآثاري يكشف لنا العلماء من خلال أسلوب الحياة أن الفترة التي عاشها النبي إبراهيم في فلسطين خلال فترة ترحاله توازي بداية العصر البرونزي الوسيط (2000-1500 ق.م.)<sup>(35)</sup>. بدليل أن الآثار قد كشفت عن تمدن حضاري أولى (post-urban) من خلال المستوطنات العديدة والمنتشرة في مناطق وادي الأردن والنقب وسيناء، وغدت هذه المستوطنات مراكز حضارية بارزة في حوالي 1800 ق.م. تطورت فيما بعد إلى دويلات لعبت دورا مهما في تاريخ الشرق الأدنى القديم مثل شكيم، عكا، أريحا، القدس.

وغيرها من الدويلات المنتشرة والتي ظلت ناشطة حتى تمكن المصريين من تحطيمها بعد ملاحقتهم للهكسوس إلى ديارهم<sup>(36)</sup>

من جانب آخر إن تاريخ الهكسوس في مصر يمكن أن يعطي سندا يعاضد التقريب التاريخي لعصر النبي إبراهيم، خصوصا أن فترة حكم الهكسوس في مصر تكاد تكون متفق عليها في جميع المصادر الدينية والتاريخية. فالقرآن الكريم يشير إلى أن حياة النبي يوسف (عليه السلام) ومقدم أباه النبي يعقوب (عليه السلام) والأسباط إلى مصر، في فترة سيطرة الهكسوس على الحكم المصري كما تشير الآية الكريمة: " وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي "(37).

وهذا الاستعمال القرآني للفظه ملك تسلط الضوء على حقبة تاريخية حصل فيها تغيير سياسي في طبيعة وظلم الحكم المصري القديم الذي كان فيه لقب (الفرعون) هو لقب رأس النظام المصري وليس الملك.

وبالإشارة إلى حكم الهكسوس فإن الآثاريين يحددون حكمهم من الأسرة الرابعة عشر حتى الأسرة السابعة عشر (1788-1580 ق.م)<sup>(38)</sup>، ودخول يعقوب مصر في هذه الفترة يجعل الأمر أكثر قبولا بالنسبة إلى الفترة الزمنية التي عاشها إبراهيم الخليل؛ وما اصطلح عليه بين المؤرخين بالعصر البابلي القديم (1595-2006 ق.م).

إن من ميزات هذا العصر الذي يبدأ مع نهاية آخر سلالة سومرية وهي سلالة أور الثالثة على يد العيلاميين، ظهور أكثر من سلالة حاكمة ومستقلة في بلاد الرافدين، فضلا عن ازدياد موجات الأموريين وتدفعهم واستقرارهم في العراق لاسيما المنطقة الوسطى منه مثل بابل ولارسا وكيش واشنونا وغيرها من المدن التي سبق وأن استقروا فيها خلال فترة الحكم الأكدي، ثم انقسام البلاد إلى معسكرين، معسكر العيلاميين الذين سيطروا على المدن السومرية الجنوبية بعد إسقاطهم للعاصمة (اور)، تمثلهم دويلة (لارسا) أما المعسكر الثاني فيتمثل بالأموريين الذين أخذوا يمثلون الوريث الثقافي والديني للسومريين، وقد تركزوا في وسط العراق مثلهم سياسيا في بادئ الأمر دويلة (آيسن) في صراعهم مع العيلاميين؛ في حين كانت مدينة بابل في طور الظهور والارتقاء السياسي بعد أن أسس فيها الأموري المدعو (سوموابوم) أو سلالة حاكمة فيها (1894-1595 ق.م) كان حمورابي سادس ملك فيها<sup>(39)</sup>.

## ج- الموطن

بعد استعراض الموجز التاريخي نعرض على أهم الآراء التي قيلت في أصل النبي إبراهيم الرافديني. هل كان من الجنوب (اور السومرية) أم كان من الشمال (حاران) أم من الوسط



(كوثي)؟ وقبل الخوض في تفاصيل هذه الأماكن يجب التنبيه إلى أن الإشارة إلى اوراو حران عند العلماء متأتية في انطلاقتهم من النص التوراتي.

فيما يخص مدينة اور وكونها الموطن الأول للنبي إبراهيم فقد كانت نقطة انطلاق هذا الرأي من سفر التكوين الذي نعت المدينة ب(اور الكلدانيين): "وأخذ تارح إبرام ابنه ولوط ابن هاران ابن ابنه وساراي كتنه امرأة أبرام ابنه فخرج بهم من أور الكلدانيين..". وقد اعتبر أنصار هذا الرأي إن مدينة اور السومرية والتي تقع أطلالها اليوم على بعد 17 كم جنوب غرب مدينة الناصرية ونهر الفرات في منطقة تعرف اليوم ب (المقير) شرقي تل العبيد، وإلى الشمال الغربي من بلدة سوق الشيوخ، والشمال الشرقي لبلدة أبو شهرين (اريدو).

بدأ التنقيب في هذه المدينة (اور) عام 1854 من قبل القنصل البريطاني في البصرة (ويلكوكس) وقد عثر على بعض النصوص التي بينت موقع المدينة. وفي عام 1922 بدأت بعثة علمية مشتركة من المتحف البريطاني وجامعة بنسلفانيا الأمريكية برئاسة السير ليونارد وولي بأعمال التنقيب في المقرة الملكية، وقد كشفت هذه الأعمال عن تاريخ المدينة منذ بداياتها الأولى وحتى الفترات المتأخرة من تاريخها القديم الذي ينتهي مع سقوط سلالة بابل الحديثة 539 ق.م. كما أوضحت التنقيبات أن مدينة اور كانت من المدن التي ضمها سرجون الاكدي إلى حدود مملكته. ومن الجدير بالذكر أنها كانت تمثل قطبا للمعارضة السومرية ضد حكم الاكديين (الجزري)<sup>(40)</sup>؛ ثم غدت مدينة ثانوية في فترة الغزو الكوتي حتى ظهرت فيما بعد على مسرح الأحداث وأصبحت عاصمة لأخر إمبراطورية سومرية في عهد مؤسسها اورغو (2113-2006 ق.م).

ما يهمنا هو التنقيبات التي أجراها السير ليونارد وولي وما نتج عنها في تصورات. إذ تأتي الزقورة في مقدمة اكتشافاته وهي عبارة عن بناية مدرجة تتكون من ثلاث طبقات أو مصاطب، كان يعلو المصطبة الثالثة معبد صغير خصص لعبادة اله مدينة اور (سين - نار) اله القمر. وقد ربط السير وولي هذا البرج المدرج مع (برج بابل) الوارد في سفر التكوين تفني الفصل الذي يسبق الحديث عن قصة إبراهيم؛ أضف إلى ذلك العثور على تمثال صغير (17 بوصة) على شكل كبش صغير مقدم كقريان أو تضحية. وهو واحد من العديد من التماثيل التي تستخدم في الطقوس الدينية اليومية آنذاك، وقد ربط الأستاذ وولي هذا التمثال مع النبي إبراهيم وأكر الله تعالى إليه بذبح ابنه والتضحية به. فضلا عن ذلك عثوره في القسم الجنوبي من المدينة على حي سكني يحوي على بيوت ترقى إلى عهد آيسن لارسا (العصر البابلي

القديم) كان من بينها بيت يبعد حوالي 300 م من المعبد المركزي في المدينة اسماء الأستاذ وولي (بيت إبراهيم).

إن فرضية اور السومرية (المقير) هي ذاتها المذكورة في سفر التكوين (اور الكلدانيين) والتي كان عميدها السير ليونارد وولي، واجهت انتقادات وتناقضات عدة منها من داخل الأسفار التوراتية ومنها أدلة تاريخية تفند هذه الفرضية وأخرى في المنهجية العلمية. ويمكن تلخيص هذه الاعتراضات مجتمعة في النقاط التالية:

1. إن الموقع الجغرافي لمدينة اور السومرية في جنوب بلاد الرافدين تقع إلى الغرب من نهر الفرات وهذا يتعارض مع اور الواردة في التوراة والتي يوضحها نص توراني آخر ويضعها شرقي نهر الفرات كما جاء ذلك في سفر يشوع: "لقد أقام أجدادكم ومن جملتهم تارح أبو إبراهيم منذ القدم في شرقي نهر الفرات حيث عبدوا آلهة أخرى، فأخذت أباكم إبراهيم من شرقي النهر وقدته عبر ارض كنعان وكثرت نسله فاختراروا لأنفسكم اليوم من تعبدون سواء الآلهة التي عبدها آباءكم الذين استوطنوا شرقي نهر الفرات"<sup>(41)</sup>

2. إن ورود كلمة (الكلدانيين) بصفة النعت لأور يجعل الكلمة تفقد مدلولها المتناسق والمتزامن مع الكلدان، الذين لم يظهروا على مسرح التاريخ إلا بعد حوالي 1000 سنة من ظهور النبي إبراهيم الخليل؛ فلا يجوز تسمية المدينة بأقوام لم يمروا عليها بعد. ومع ذلك فإن أنصار هذا الرأي يقترحون بأن اسم الكلدانيين أضيف إلى النص التوراني من خلال الكتابة اليهود لغرض الإيضاح المكاني.

3. من المعروف عن مدينة اور أنها كانت ذات طابع سومري بحت حتى بعد سقوط آخر سلالة فيها (اور الثالثة 2006 ق.م) أي أن الجنس البشري السومري كان هو العنصر الأبرز فيها مع تواجد قليل للجزريين المعروفين بالبداوة والمستوى الحضاري الأدنى من السومريين. وكما مر بنا فأنها كانت تتميز بثورتها ضد الحكم الأكدي الجزري، وهذا يعني أن إبراهيم الاموري (كما سيأتي تبيان) كان يتصف بالصفة الأساسية للاموريين بكونه راعيا. وهذا الأسلوب البدوي يتناقض مع المدنية السومرية المتحضرة (اور) لان السومريين يحتقرون البداوة ويصفونها بالهمجية والبربرية<sup>(42)</sup>.

4. فيما يخص المنهج الاثري، ليس هناك أي دليل اثري واضح يشير إلى ان اور السومرية هي موطن النبي إبراهيم الخليل؛ وأن المنقب وولي قد أطلق جزافا على أحد بيوتات الشطر الجنوبي للمدينة (بيت إبراهيم) وهذا ما لا يستند إلى دليل مادي ملحوظ.

وقد رد على ذلك أحد الآباء المسيحيين بقوله: "ولا احسب ذلك إلا تخميناً أو ترجيحاً شخصياً لا يعول عليه"<sup>(43)</sup>.

أم الموقع الثاني الذي يطرح كموطن أول للنبي إبراهيم الخليل هو مدينة (حاران- الرها- أورفا). وهذا الافتراض يتبناه العديد من العلماء البارزين مثل سيروس كوردن Cyrus Gordon وهيرشل شانكس Hershel Shanks؛ وكان انطلقهم أيضاً من النص التوراتي الوارد في سفر التكوين والذي يشير إلى أن حران هي المدينة التي ابتداءً منها إبراهيم وأهله رحلتهم نحو كنعان: "اترك أرضك وعشيرتك وبيت أبيك... فارتحل أبرام كما أمره الرب ورافقه لوط وكان أبرام في الخامسة والسبعين من عمره عندما غادر حران"<sup>(44)</sup>.

وحران أو حاران مدينة من مدن بلاد ما بين النهرين تقع على نهر البليخ أحد فروع نهر الفرات وعلى مسافة 280 ميلاً إلى الشمال الشرقي من دمشق، وكانت مركزاً تجارياً ومحطة مهمة للطرق الرئيسية بين بلاد بابل والبحر المتوسط. واسم حران مشتق من لفظة أكديّة ومعناها (الطريق). والمدينة كانت ذات بيئة آرامية منذ القرن الرابع عشر قبل الميلاد وتشترك مع مدينة اور السومرية (في العصور اللاحقة) بخاصية عبادة الإله القمر واعتباره الإله الرسمي للمدينة<sup>(45)</sup>.

البعض من المؤرخين يحاولون جعل حران تطابق (اور الكلدانيين) معتمدين على جملة "أرضك وعشيرتك" يضاف إلى ذلك بعض النصوص المسمارية التي ترقى إلى القرن التاسع عشر قبل الميلاد مثل وثيقة شمش آرا shamsh ara التي عثر عليها في منطقة تقع على الحافة الشرقية للهِلال الخصيب سميث (اورئو ura'u) وهي منطقة قريبة إلى الخابور. فضلاً عن ذكر لكلمة (اور ura) في النصوص المسمارية التي تحدثت عن الفتوحات الآشورية خلال القرن الثامن قبل الميلاد وبالتحديد في زمن الملك الآشوري تحلابيلزر الثالث في الجهات الشمالية الغربية القريبة من ديار بكر الحالية<sup>(46)</sup>. واعتقد أن هذا الرأي ضعيف لوجود اعتراضات عدة عليه وهي:

1. إن الإصحاح الذي يذكر إن إبراهيم ترك أرضه وعشيرته وانطلق نحو بلاد كنعان، يسبقه تماماً اصحاحاً يذكر فيه بداية رحلة إبراهيم وأهله من اور الكلدانيين إلى بلاد كنعان لكنهم استقروا مؤقتاً في حران أي إنها كانت بمثابة محطة توقف بالنسبة لإبراهيم الخليل. وهذا تقريباً باتفاق معظم الدارسين في حقل الدراسات التوراتية<sup>(47)</sup>.

2. إن اور الكلدانيين لا يمكن أن تكون حران لأن الأخيرة كما مر بنا ذات بيئة آرامية وأن تواجد الكلدانيين في هذه المناطق الشمالية لبلاد آشور (بما فيها حران) لم يظهر إلا بعد

سقوط الدولة الآشورية 612 ق.م. إذ كانت حران آخر معقل للآشوريين ومن ثم دخلوها الكلدانيون المنتصرون. بعبارة أخرى أن حران طالما وصفت بالآرامية وليس بالكلدانية على الرغم من أن البعض يري في قبيلة (كلدو) فرع من الآرامية وهذا ما لا يتفق مع الواقع التاريخي للآراميين<sup>(48)</sup>.

3. ومما يؤكد أرامية حران وجود نصوص في سفر التكوين تلقبها باللقاب منها (الحقل)- حقل الآراميين أو سهل الآراميين (Phaddana Aram) كما نقرأ: "فقال الرب ليعقوب ارجع إلى أرض آبائك ومسقط رأسك (كنعان)... فقام يعقوب وحمل بنيه ونساءه على الجمال وساق جميع ماشيته التي امتلكها في فدان آرام"<sup>(49)</sup> ونقرأ أيضاً: "والآن خذ عدتك وجعبتك وقوسك واخرج إلى الحقل (حقل الآراميين) وصد لي صيدا"<sup>(50)</sup>؛ كما أن حران وصفت بكونها أرض استقرار (ناحور- أخ إبراهيم): "وقام ومضى إلى آرام النهرين (ما بين النهرين) إلى مدينة ناحور"<sup>(51)</sup>؛ كما أنها وردت في سجلات ماري (تل الحيري) العائدة إلى القرن الثامن عشر قبل الميلاد بصيغة (ناخور Nakhur) وتعرف اليوم ب (تل ناخيري Til Nakhiri) وهي من أطراف مدينة حران. وبعبارة أخرى أن مدينة حران حتى لو أريد إطلاق لقب ما عليها فأن هذا اللقب لا يتماشى مع لقب الكلدانيين.

4. قد يكون النسب الذي الصق بالنبي إبراهيم الخليل (الآرامي) هو الذي جعل الباحثين ينسبون (حران) الآرامية موطناً له. وفي الواقع إن إبراهيم الخليل لم يكن آرامياً كما يعتقد اليهود معتمدين على النص الوارد في سفر التثنية: "...ثم يعلن صاحب التقدم أمام قائلاً أمام الرب: كان أبي آرامياً تائهاً ثم انحدر إلى مصر وتغرب هناك ومعه نفر قليل ولكنه أصبح هناك أمة عظيمة"<sup>(52)</sup>. والمرجح كثيراً أن إبراهيم كان أمورياً، بل أنه كان زعيماً أمورياً كما يقول السير ليونارد وولي، لأن الموجات الأمورية والجنس البشري الأموري كان الأبرز والأكثر انتشاراً في بلاد الرافدين وبلاد الشام في فترة بداية الألف الثاني قبل الميلاد وهي الفترة التي عاصرها النبي إبراهيم الخليل؛ ولم يكن للآراميين أي ذكر تاريخي بعد، وهذا ما يؤكد النص التوراتي: "لنسلك (إبراهيم) أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفينيقيين والقنزيين والقديوميين والحيشيين والفرزيين والرفائيين والأموريين والكنعانيين والجرجاشيين واليبوسيين"<sup>(53)</sup> وما يلاحظ في هذا النص (الطبوغرافي) أنه ذكر الأقوام المنتشرة بين مصر ونهر الفرات في فترة حياة النبي إبراهيم ولم يرد ذكر للآراميين وذلك لأنهم لم يكونوا قد ظهرت بعد في المنطقة؛ إذ أن أقدم انتشار لهم يرجع إلى القرن الثاني عشر والحادي عشر

قبل الميلاد كما ورد في نصوص الملك الآشوري تحلا تيليزر الأول (1116-1090 ق.م) والملك الآشوري آشور بل كالا الأول (1073-1056 ق.م) <sup>(54)</sup>

ومما يثبت آمورية إبراهيم على أراميته أسماء أبنائه إسماعيل وإسرائيل - يعقوب (عليهم السلام) إذ يلاحظ استخدام لفظة (إيل) والتي تعني (الله/ الإله) وهذا اللفظ كان مستخدماً من قبل البابليين (الآموريين) في تركيبات أسماء أعلامهم ومفرداتهم مثل إشتب إيل - ishtup-il مؤسس سلالة ماري الامورية <sup>(55)</sup>. في حين هذه اللفظة لم تكن أصيلة عند الآراميين بل إن الإله (إيل) كان من جملة الالهة التي استعارها الآراميون من الأقوام المجاورة لهم في فترات تاريخية لاحقة ودخلت في تركيب أسماء الأعلام مثل ركب - إيل (ركاب) <sup>(56)</sup>.

أما الرأي الثالث نراه في بعض المصادر التاريخية الإسلامية نجد هناك رأي مغاير حيث يعتقد أصحاب هذا الرأي بأن إبراهيم الخليل إنما كان مولده وموطنه الأول في مدينة (كوثي) تل إبراهيم حالياً في قضاء المسيب في محافظة بابل. وهناك عدة روايات تاريخية إسلامية تورد هذا الموضوع (كوثي) باعتباره هو المقصود في عبارة (اور الكلدانيين) في سفر التكوين.

فالمسعودي يرى أن اور الكلدانيين من أطراف بابل كما أورد في نص العنوان (ذكر ملوك بابل وهم ملوك النبط وغيرهم المعروفين بالكلدانيين) <sup>(57)</sup> ويؤيد هذا الرأي الشيخ محمد جواد مغنية بقوله: "بعد أن أنجاه الله من كيد قومه هاجر من بلده اور الكلدانيين - بابل - إلى بلاد الشام" <sup>(58)</sup>. ويذكر الدكتور احمد سوسه: "مع اختلاف الباحثين في تعيين مكان ولادة إبراهيم الخليل فإن أكثرهم متفق على أنه كان في كوثر قرب بابل" <sup>(59)</sup>.

وروى عن أبي محبوب عن ابراهيم بن ابي زياد الكرخي قال: سمعت ابا عبد الله (جعفر الصادق عليه السلام) يقول: "أن إبراهيم عليه السلام كان مولده بكوثر ربا، كانت قرية من أعمال الكوفة (في العصر الإسلامي) وكان ابيه من أهلها" <sup>(60)</sup>. وفي المعني نفسه أورد المجلسي ما نصه: "كوثر العراق هي سرّة السواد وبها ولد إبراهيم الخليل عليه السلام" <sup>(61)</sup>.

وذكر محمد بن سيرين: سمعت عبيدة يقول سمعت علياً - عليه السلام - يقول: من كان سائلاً عن نسبتنا، فانا نبط من كوثر. وروى عن ابن الأعرابي أنه قال: سأل رجل علياً - عليه السلام - فقال: أخبرني يا أمير المؤمنين عن أصلكم، معاشر قريش، فقال: نحن قوم من كوثر. وأختلف الناس في قوله: نحن قوم من كوثر، فقال طائفة: أراد كوثر العراق، وهي سرّة السواد التي ولد بها إبراهيم - عليه السلام - وقال آخرون: أراد كوثر مكة، وذلك أن محلة بني عبد الدار يقال لها كوثر، قال أبو منصور: والقول الأول هو الأدل لقول علي - عليه

السلام-: فإننا نبط من كوئي، ولو أراد كوئي مكة، لما قال نبط، وكوئي العراق هي سرّة السواد من محال النبط، وإنما أراد- عليه السلام- أن أبانا إبراهيم كان من نبط كوئي وأن نسبنا انتهى إليه، ونحو ذلك: قال ابن عباس: نحن معاشر قريش حي من النبط، من أهل كوئي، والنبط من أهل العراق. قال أبو منصور: وهذا من علي، وابن عباس، عليهم السلام<sup>(62)</sup>.

إن هذه الروايات التاريخية الإسلامية على الرغم من عدم انتشارها (لسبب ما) فإن هناك عدة اعتبارات تاريخية ولغوية ونصوص توراثية ترجح كفة (كوئي) باعتبارها مسقط رأس إبراهيم الخليل والمقصودة في عبارة اور الكلدانيين وهذه الاعتبارات كالآتي:

1. على صعيد النسب التاريخي كان إبراهيم الخليل أموريا- كما مرينا- وتشير الشواهد التاريخية أن الأموريين في هجراتهم نحو بلاد الرافدين أكثروا في استقرارهم وتجمعهم في بابل وما جاورها من المدن حتى أنهم أسسوا اقوي سلالة خلال العصر البابلي القديم (الذي عاصر إبراهيم بداياته) وهي سلالة بابل الأولى؛ ويتصل في هذا السياق أن مدينة كوئي هي من أكثر المدن التي ارتبطت ببابل حتى غدت جزءا منها أو من أطرافها. وأن الأقوام التي سكنت في بابل هي الأقوام نفسها التي سكنت في كوئي وذلك للاتصال الجغرافي والتشابه البيئي والقرب المكاني بين بابل.

2. إن تعيين مكان مدينة أور الكلدانيين في بلاد الرافدين يحتاج إلى تفكيك هذه العبارة ونبدأ بكلمة (أور) والتي يرجع أصلها إلى اللغة السومرية (uru<sup>2</sup><sub>ki</sub>-iri-iri<sub>11</sub>) والتي تعني مدينة أو بلدة أو قرية<sup>(63)</sup>. وقد تسربت هذه الكلمة إلى اللغات الجزرية (السامية) عن طريق احتكاك اللغة السومرية باللغة الأكديّة (البابلية والآشورية)؛ وتذكر عدد من النصوص المسمارية باللغة الايبلائية (القريبة جدا من الأكديّة) والتي ترقى إلى الألف الثالث قبل الميلاد بعض الكلمات كثل اورا- اورو ura-uru كمفردات تتبع أسماء الأماكن والأحياء القريبة والمجاورة لمدينة ايبلا<sup>(64)</sup>. أما في نصوص الاالاخ (تل العطفشانة حاليا) فهناك اشارات تعود الى 1400 ق.م. لاسم قرية تقع إلى الطرف الغربي من المدينة سميت ب(اور ure). فضلا عن ظهور أسماء لقرى وبلدات في حوالي 1450 ق.م، ترتبط أيضا بالاالاخ مثل (اورى) uri، (اورا ura)، وكلها تقع ضمن محيط مدينة الاالاخ<sup>(65)</sup>.

أما في سجلات دويلة ماري (الامورية) نجد هناك أسماء لمدن ترتبط بها كلمة (اور- مدينة) تقع على جوانب المدينة الرئيسة ماري (Great uri) المدينة الكبيرة و Small uri

المدينة الصغيرة (البلدة)<sup>(66)</sup>. وربما قصد من النص التسلسل الإداري للمدينة على غرار العاصمة - البلدة - القرية، أو ما شابه ذلك.

على هذا الأساس يتضح لنا أن كلمة (اور uru) أو ما شابهها مع اختلاف لفظها في اللغات الجزرية. قصد منها القرى أو الضواحي القريبة من المدن أو المراكز الحضارية البارزة. إذن فالمقصود من اور الكلدانيين هي بلدة أو مدينة الكلدانيين، لكن كيف ينطبق هذا على مدينة (كوثي).

4. إن المتمعن في خارطة العراق القديم يلاحظ أن كوثرى ملتصقة تماماً بمدينة بابل من جهة الشرق كما لو كانت إحدى ضواحيها؛ وقد شكل الكلدانيون في بابل وكوثرى مركزاً للمعارضة ومصدر إزعاج للسلطة الآشورية في عصر الإمبراطورية الآشورية الثانية وهي الفترة التي برز فيها الكلدانيون سياسياً في بلاد الرافدين. حتى غدت تعرف هذه الظاهرة بـ (المشكلة الكلدانية)، وهي أن الكلدانيين أخذوا يتحركون من مناطق (ارض البحر) نحو الفرات محاولين السيطرة على المدن القديمة، حتى تمكنوا من زمن زعيمهم المدعو أوكن - زير 734 ق.م. من احتلال بابل ولأول مرة في تاريخ الكلدانيين<sup>(67)</sup>. ولكن بعد ثلاث سنوات استطاع الآشوريون من إرجاع بابل إلى الحظيرة السياسية المركزية، وكان ذلك في أواخر عهد الملك تجلاتيليزر الثالث (745 - 727 ق.م) وبداية حكم الملك شلمنصر الخامس (727 - 722 ق.م)<sup>(68)</sup>.

ويذكر أن بلاد بابل قد انقسمت على نفسها في مقاومة هجوم الآشوريين<sup>(69)</sup>، إذ لم تساند المدن البابلية الأخرى الكلدانيين في معركتهم ضد الآشوريين سوى مدينة كوثرى والتي يبدو أنها كانت تمثل أهم مدينة بابلية للكلدانيين؛ الأمر الذي أضطر الملك الآشوري شلمنصر الخامس أن ينفي أسرى الكلدان من بابل وكوثرى (معقل الكلدانيين) إلى مدينة السامرة في فلسطين ويحلهم محل الإسرائيليين (المنفيين أيضاً) بعد أن سقطت دولتهم على يد الملك نفسه شلمنصر الخامس. وهذا ما يؤكد النص التوراتي المهم الذي يتحدث عن سقوط دولة إسرائيل الشمالية وعاصمتها السامرة في سفر الملوك الثاني:

"ونقل ملك آشور أقواماً من بابل وكوث وعوا وحماة وسفروايم وأسكنهم مدن السامرة محل بني إسرائيل... فعبد القدمون من بابل أصنام إلههم سكوث بنوث، وعبد القادمون أصنام إلههم نرجل (نركال)"<sup>(70)</sup>.

ولا يخفى عن أحد أن كتبة اسفار التوراة خلال فترة السبي البابلي الثاني 586 ق.م كانوا على مقربة زمنية من سير هذه الأحداث وإفرازاتها وتسمياتها.

5. على صعيد علم الآثار فأن بعض المكتشفات الحديثة قد اتفقت مع القرآن الكريم حول مسألة تحريق إبراهيم الخليل عليه السلام فقد جاء بالآية الكريمة ما نصه: " قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (68) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ " (71) . إذ كشف المنقبون في مدينة (بورسييا) التي تقع جنوب مدينة بابل وتعرف أطلالها اليوم بأسم بيرس نمرود، كشفوا عن وجود كتل غير عادية من الأجر المزجج حول أسفل برج المدينة وكان شاهدا على استعمال حرارة هائلة يصعب تفسيرها (72). وكان يعتقد أن هذا البرج هو برج بابل الذي تعرض للحريق؛ إلا أن بعد الكشف عن آثار برج بابل اتضح بأن ذلك كان خطأ حتى مجيء أحد الباحثين الانكليز وهو ج.س. بكنغهام الذي زار بابل عام 1816م واستطاع أن يثبت أن بابل كانت ممتدة بأراضيها إلى مدينة بورسييا (73). وتكاد تكون كوئي وبابل وبورسييا إقليم واحد متصل ببعضه جغرافيا إلا إنها منفصلة إداريا؛ كما أن تسمية برج بورسييا (وهو المعبد الخاص بالاله نابو) بأسم بيرس نمرود قد يشير إلى ما ذكره الإخباريون عن الملك الذي حاج إبراهيم في ربه.

6. ولكي نزيد من قوة هذا الرأي (كوئي - اور الكلدانيين) نستنتج الجانب الجغرافي المنصوص في التوراة والذي يؤكد بأن الموطن الأول لإبراهيم (اور الكلدانيين) كان يقع إلى الجانب الشرقي من نهر الفرات، إذ نقرأ عن ذلك: " لقد أقام أجدادكم ومن جملتهم تارح أبو إبراهيم منذ القدم في شرقي نهر الفرات حيث عبدوا آلهة أخرى فأخذت أباكم إبراهيم من شرقي النهر وقدمته عبر أرض كنعان وكثرت نسله " (74).

وكوئي قريبة جدا من نهر الفرات وتقع إلى الشرق منه. وقد يفترض أحدا أن حران هي المقصودة من ذلك؛ وهذا غير ممكن لان حران لا تنطبق عليها الأحداث التاريخية - السالفة الذكر - التي انطبقت على مدينة كوئي. فضلا عن أن مدينة حران لم ترتبط نهريا بنهر الفرات وإنما بنهر الخابور الذي يقع إلى الغرب من المدينة. أما اور السومرية فقد مر بنا تبيانها بعكس المطلوب.

إذن من خلال ما تقدم يصبح لدينا من المعقول جدا أن موطن النبي إبراهيم الخليل هو مدينة كوئي (تل إبراهيم) والتي عبر عنها بلفظة اور الكلدانيين في سفر التكوين عند الحديث عن موطن إبراهيم الأول. واترك المجال للباحثين في إلقاء الضوء على أدلة أو إثباتات



تاريخية أو نقوش نصية جديدة قد تثبت عكس ما تقدم من رأي أو قد تعزز من صحته وثبوته.

ولله الكمال أولاً وآخره

## الهوامش

1. للتفصيل حول المملكة ينظر باولو ماتيه: ايبلا- عبلاء، الصخرة البيضاء دراسات أثرية ولغوية وتاريخية. ترجمة قاسم طوير، دمشق - 1984.
2. احمد سوسة: مفصل العرب واليهود في التاريخ. دار الرشيد، بغداد - 1981. ج2، ص44
3. Abraham in the light of profane history. www.newadvent.org.
4. طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة. ج2. ص74.
5. Quartz hill school of theology QHST. www.theology.com.
6. QHST
7. pennsylvania Sumerian Dictionary (PSD), letter (s).
8. Abraham. www.newadvent.org
9. سفر التكوين 17: 1-5.
10. سفر التكوين 17: 15، 17.
11. سورة الأنبياء، الآية 60.
12. سورة البقرة الآية 124.
13. سورة النحل الآية 120.
14. مطهر على الارياتي: نقوش مسندية. النقش الحادي عشر، ص466.
15. محمد عبد القادر بافقيه: تاريخ اليمن القديم. بيروت - 1973. ص35.
16. حامد العولقي: نبي الله إبراهيم مقال منشور في: WWW.ALKHAYMA.COM
17. سورة الزخرف، الآية 26-27.
18. سورة الممتحنة، الآية 4.
19. سورة التوبة، الآية 114.
20. سعيد عبد المطلب العدل: أخناتون أبو الأنبياء. دار النيل، مصر - 2004.
21. سفر التكوين 11: 31.

22. سورة الأنعام، الآية 74.
23. محمد بن احمد القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. القاهرة- 1960. ج7، ص22. هاشم يحيي الملاح: إبراهيم الخليل في المصادر الإسلامية. مجلة بين النهرين. العدد 103-104. السنة 26. 1998. ص238.
24. محمد بن النعمان المفيد: أوائل المقالات. مكتبة الداوري- قم. ص12-13.
25. سورة الشعراء، الآية 219.
26. مرتضي الحسيني الميلاني: من حياة الأنبياء. ط3. مؤسسة الإرشاد والتوجيه الديني (النجف - 1428هـ). ج1. ص129.
27. سورة البقرة. الآية 133.
28. سفر التكوين. 11:31.
29. عباس محمود العقاد إبراهيم أبو الأنبياء. دار أخبار اليوم. سلسلة كتاب اليوم. مصر- 1953 ص165-166.
30. ناصر المنشاوي: أزر أب إبراهيم. موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة. www.55a.net
31. Ralph F Wilson: Abraham. An introduction to his life and time. www.jesuswalk.com/Abraham.
32. سفر الملوك الأول 1:6.
33. سفر التكوين 47:8-9.
34. سفر الخروج 12:40.
35. ه.ى. فرانكن: القدس في العصر البرونزي. صمن كتاب القدس في التاريخ. ترجمة كامل جميل العيطي. منشورات الجامعة الأردنية. عمان- 1992. ص35.
36. Ralph F. Wilson: Abraham.
37. سورة يوسف. الآية 54.
38. طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات ج2. ص65.
39. للاستزادة حول هذا العصر وهذه المسميات راجع هاري ساكر: عظمة بابل. ترجمة عامر سليمان ط2. لندن- 1966 ص78. وما بعدها.
40. فوزي رشيد: نرام سين ملك الجهات الأربعة. دار الشؤون الثقافية (بغداد- 1990) ص39.

41. سفر يشوع. 24: 2-3، 16.
42. صموئيل نوح كريم: السومريون. تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم. ترجمة فيصل الوائلي: الكويت- 1973. ص 221. ص 265.
43. يعقوب افرام منصور: إبراهيم أبو المؤمنين. مجلة بين النهرين. العدد 103-104. السنة 26. 1998. ص 207.
44. سفر التكوين 12: 4.
45. يوسف حيي: العراق ارض أبينا إبراهيم المقدسة. مجلة بين النهرين. العدد 103-104. السنة 26. 1998. ص 194.
46. Alan R Millrd: Where was Abraham's ur. [www.biblicalarchaeology.org](http://www.biblicalarchaeology.org).
47. مجموعة من الباحثين: التفسير التطبيقي للكتاب المقدس ط 4. لندن- 2002.
48. بي. أي. ديون: الآراميون في العصر الحديدي. التاريخ السياسي والبنى الاجتماعية. ترجمة الأب البير أبونا ضمن أعداد مجلة بين النهرين. العدد 127-128. السنة 33. 2004، ص 180.
49. سفر التكوين 31: 3، 17-18.
50. سفر التكوين 27: 3.
51. سفر التكوين 24: 10.
52. سفر التثنية 26: 5.
53. سفر التكوين 15: 18-20.
54. ديون: الآراميون. ، مجلة بين النهرين، العدد 125-126. السنة 32. 2004. ص 76.
55. هاري ساكنز: عظمة بابل. ص 84.
56. طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات. ج 2. ص 280.
57. على بن الحسين المسعودي: مروج الذهب. ط 4. مصر 1964. ج 1. ص 215.
58. محمد جواد مغنية: الكاشف ط 1. بيروت- 1968. ج 5. ص 285.
59. احمد سوسة: تاريخ حضارة وادي الرافدين. بغداد- 1986. ج 2. ص 331.
60. محمد بن يعقوب الكليني: الكافي. ج 8. باب 8. رواية 560.
61. المجلسي: بحار الأنوار. ج 12. باب 2. رواية 38.

62. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب. دار صادر (بيروت - 2003) حرف الكاف/ مادة كوئي.
63. Halloran, Joan, a: Sumerian lexicon, Letter (u) [www.sumerian.org](http://www.sumerian.org).
64. Alan R. Millard: Where was Abraham's ur.
65. للتفصيل حول هذه الإشارات ينظر:  
Donald J. Wiesman: The Alalakh Tablets. (London-British) Institute of Archeology at Ankara. 1953.
66. Alan R. Millard: Where was Abraham's ur.
67. هاري ساكر: قوة آشور. ترجمة عامر سليمان. لندن - 1984. ص 132-134.
68. م. ن. والصفحة.
69. م. ن. والصفحة.
70. سفر الملوك الثاني 17: 24، 30.
71. سورة الأنبياء: الآية 68 - 69.
72. نيكولاس بوستكييت: حضارة العراق وإثارة تاريخ مصور. ص 36.
73. م. ن. والصفحة.
74. سفر يشوع 24: 2 - 3.